



قيام الدولة السعودية الأولى

نظرية جديدة في تحقيق تاريخ
نجد الحديث والجزيرة العربية

د. صالح بن مخضوم السلمي

د. علي بن حسن النجعي





وكل المظاهر الطبيعية التي تتمتع بها الدرعية لها أهمية بالغة في قوة الدولة واستمراريتها بعد قيامها على يد الإمام محمد بن سعود، وتعود أهميتها للانعكاسات القوية على استغلال الإنسان اقتصادياً للرقعة الأرضية، أضف إلى ذلك قوة تأثيرها في حركة الاتصال والمواصلات في الدولة، وربط أطرافها بالمركز، وهذا أمر بالغ الحساسية بالنسبة لتماسك الدولة إذا ما تضافرت عوامل أخرى كالقوة الاقتصادية والمستوى الحضاري والقوة الاقتصادية.

ومن تلك الظروف الطبيعية والمقومات الطبيعية التي توافرت للدرعية الصخور الرسوبية الجيرية على شكل طبقات، وفي منطقة الجبيلة يوجد الحجر الجيري مما ساعد على النمو العمراني بحيث استعمل في البناء والتعمير، أضف إلى ذلك أن الماء في الدرعية متكون عبر تلك الطبقات في التكوينات الجيرية كخزانات مائية ضخمة يطلق عليها المياه الحفرية، وقد بلغت موارد المياه في الدرعية من الآبار الارتوازية والعاوية قرابة 357 مورداً.

ومع وفرة موارد المياه وتنوع التربة، كالتربة الصخرية، التربة السائدة نشأت الدرعية كمركز للاستقرار الزراعي، فهي تمثل واحة من واحات هضبة نجد، وبذلك أصبحت الحرفة الرئيسة للسكان هي الزراعة، كزراعة النخيل التي أصبحت أيقونة في شعار الدولة الرسمي وترمز للحيوية والنماء والرخاء.

إضافة إلى موقعها الطبيعي نجد الإمام محمد بن سعود منذ بداية حكمه كان يدرك أهمية تحصين البلدات النجدية التابعة له، بحيث كانوا إذا تولوا بلدًا كبيراً أو كورة، بنوا حصناً في تلك البلدة على حدة عن حصنها الأول إذا كان لها حصن، وحضروا حوله خندقاً إذا كانت أرضه صلبة، وأحكموا ببناء القلعة ورتبوا في الحصن قدر خمسمئة رجل عسكري.

والحديث عن تاريخ الدرعية-كما مر بنا- يعود إلى منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وحينها كانت بلدة صغيرة تكبر مع الأيام شيئاً فشيئاً، لكنها لم تصبح عاصمة دولة كبيرة إلا عند وصول الإمام محمد بن سعود إلى حكمها في عام 1139هـ/1727م.

وهذا التاريخ مترسخ لدى المجتمع، وقد مرّ بأربع حقب تاريخية طويلة غرست ثقافتها وبنت تقاليدها في العقل الجمعي، في وعيه وفي لاوعيه، وصارت تؤثر في المجتمع بقوة التاريخ، هذه الحقب هي: حقبة التاريخ القديم، وقد تشكلت خلالها البنية الاجتماعية للقبيلة والأسرة والقرابة أنظمة الحكم القبلية، واستثناس إنسان البادية للإبل، وقدرة إنسان المدينة على أن يكشف أهمية النخل بالنسبة لاقتصاده وغذائه، وحقبة ظهور الإسلام، وحقبة ما قبل الدولة السعودية الأولى، ثم الحقبة التي أسميتها في رأس الفقرة بـحقبة الانتقال من دولة المدينة إلى الدولة السعودية.

لقد شكّل هذا التاريخ 1139هـ/1727م ومن خلال مقومات المكان (الدرعية)، والشخصية (الإمام محمد بن سعود وأعماله) حدّاً فاصلاً بين تاريخ نجد والجزيرة العربية التي كان يسودها الانقسام وتعمها الفرقة وعدم الاستقرار، وتكثر فيها الإمارات والمشیخات، تاريخ الصراعات والحروب والنزاعات والتناحر بين القبائل النجدية، صراع في حقيقته بين ما يمكن تسميته بدول المدن

